الفصل السادس

حرب الاستقلال الأمريكية

فى أواخر القرن الخامس عشر بدأ الانجليز يشاركون فى حركة الكشوف الجغرافية وترتب على ذلك نجاح جون كابوت فى الوصول الى نيوفوند لاند ، ومن هنا تملكت انجلترا ما عرف بعد ذلك باسم الولايات المتحدة الأمريكية حيث أسس الانجليز أولى مستعمراتهم هناك فى عام ١٦٠٧م والتى عرفت باسم جيمستون ، ثم توطد استعمارهم هناك نتيجة للهجرات الانجليزية المتتالية خصوصا من البيورتان Puritains (المطهرون) الى هذه المناطق حتى وصلت المستعمرات الانجليزية الى ١٣ ولاية كان أكثرها قدما مستعمرات الشمال وهى ماشوسيوتس وبنسلفانيا وانجلترا الجديدة وكانت هذه المستعمرات تابعة لملك انجلترا فى ظل حكم ذاتى تتمتع به .

وقد رأت الحكومة البريطانية أن تربط تجارة مستعمراتها فى أمريكا معها فقط ، ولكى تصبح هذه المستعمرات سوقا رائجة للمصنوعات الانجليزية تحصل منها على أكبر ربح تجارى فرض عليها عدم انشاء صناعة للحديد .

وكان الحكم الانجليزى فى هذه المناطق يعتمد على ثلاثة مراكز رئيسية وهى الحاكم والمجلس النيابى والمجلس الاستشارى ، وكان الحاكم هو المسئول الأول عن رعاية شئون ولايته ، والمحافظة على الأمن فيها ، وكان يتم تعيينه بقرار من ملك بريطانيا .

وكان المجلس النيابى ينتخب من قبل أهل الولاية ولفترة تنحصر بين عام وعامين ، وتنحصر مسئوليته فى سن الضرائب والاشراف على الموظفين وتقدير رواتبهم أما المجلس الاستشارى فكان بمثابة سلطة

استشارية فى الولاية لها الحق فى الاعتراض على قرارات الحاكم والمجلس النيـــابى .

قد استطاع المجلس النيابى أن يلعب دوره من أجل اضفاء مظـــاهر الحكم الذاتى لسكان أمريكا فى ظل التاج البريطانى ، وازداد الشـــعور بالانتماء القومى لدى سكان هذه المستعمرات ، وزداد الاحســـاس بأنهم لا يقلون كفاءة فى ادارة شئونهم عن الحكام الانجليز ، ولكن نظرا لرفض ملوك انجلترا اعطاءهم هذا الحق واصرارهم على التطبيق الصارم للقوانين التى تصدرها بريطانيا فقد تريث سكان هذه المستعمرات بعض الوقت ، وعندما أصرت انجلترا على فرض الضرائب على سكان هـــذه البلاد دون الرجوع الى المجلس النيابى اعترض المستوطنون على القيود والضرائب المفروضة عليهم غير أن الحكومة البريطانية لم تلق لهم بالا ، ولمـــا فرضت الحكومة البريطانية ضريبة التمغة Stamp Act فى عام ١٧٦٥ والتى تنص على أن كل حكم قضائى يجب أن يكتب على ورق عليه خـــاتم يباع لصالح الحكومة رفضها الأمريكيون وتمسكوا بضرورة أخذ رأيهم فى فرض الضرائب ، ومن أجل ذلك عقدوا مؤتمرا فى نيويورك فى عام ١٧٦٥ اشتركت فيه تسع ولايات أمريكية ، وكان أهم قراراته مطالبـــة الحكومة البريطانية بالغاء هذه الضريبة ، ولتهدئة الموقف اضطر الانجليز الى الموافقة على الغاء هذه الضريبة ولكنهم تمسكوا بحق البرلمـــان الانجليزى فرض أية ضرائب أخرى مما جعل الخلاف محتدما وخاصة بعد أن فرضت الحكومة الانجليزية عدة ضرائب على الزيت والنبيذ والزجاج والورق واستيراد الشاى ، وقد عارض الأمريكون هـــذه الضرائب وبدأوا يتهربـــون منها فاستعاضوا عن استيراد الشاى بشراء المهرب منه عن طريق الهولنديين ، ولكن الانجليز حاولوا اجبارهم على شراء الشاى من شركة الهند الشرقية التى كان أثرياء بريطانيا من المساهمين فيها ولمـــا حاول الانجليز نقـــل كميات كبيرة من الشاى من لندن الى بوسطن ، وبعض الموانى الأمريكية الأخرى لاجبـــار الأهالى على شرائه القى سكان بوسطن فى ديسمبر ١٧٧٣ بحمولات ثلاث سفن انجليزية محملة بالشاى فى البحر حيث تنكروا فى زى الهنود الحمر ، وصعدوا الى مراكب التفريغ وقذفوا بالشحنة الى البحر أمام جمهرة من الأهالى المشجعين لهم مما أثار الانجليز فاغـــلقوا ميناء بوسطن وهددوا

بانزال العقاب بسكانه ، مما ادى الى تفجر الموقف ، واندلاع الشرارة التى أشعلت نار الحرب بين السكان وبريطانيا وبخاصة بعد أن انضمت العديد من الولايات الأمريكية الى سكان بوسطن فى موقفهم المعادى للانجليز ، واعلنت أن الاعتداء على أية ولاية أمريكية يعتبر اعتداء على جميع الولايات فتم عقد مؤتمر فى فيلا دلفيا فى عام ١٧٧٤ حضره جورج واشنجطن ، ومن خلاله تأسس الكونجرس الأمريكى الأول من مندوبى الولايات ، وكانت من أهم قراراته ، تحذير الحكومة الانجليزية من أن تصرفاتها تجاه المستعمرات الأمريكية سيؤى الى الاضرار بمصالحها والاحتجاج على الاجراءات التعسفية التى تتخذها الحكومة الانجليزية ضد سكان بوسطن ومع ذلك تأبه الحكومة البريطانية بهذا التحذير ، بل استمرت فى ارسال قواتها الى بوسطن فى محاولة لتأديب أهلها الذين قاموا بالقاء الشاى المحمول على سفن انجليزية فى البحر ، مما دفع سكان الولايات الأمريكية الى الاستعداد للحرب حتى يتم استقلالهم عن انجلترا ، فعقدوا اجتماعا اخر فى فلادلفيا عام ١٧٧٥ اتفقوا فيه على تأليف جيش أمريكى موحد ، كما ناشدوا الملك « جورج الثالث » بالكف عن الاجراءات التعسفية لحكومته حتى يظلون رعايا مخلصون له ، ولكنه أصر على تشبثه بحقوقه المطلقة على المستعمرات الأمريكية ، كما أصر على ضرب الحركات الثورية بها ، ونتيجة لذلك قبلت الولايات الأمريكية التحدى ، وعين الكونجرس جورج واشنطن فى ١٥ يونية ١٧٧٥ ، قائدا عاما لقوات المستعمرات الثلاث عشرة ليس لكونه مجرد رجل حرب يجيد فن التكتيك والاستراتيجية العسكرية ، أو لأنه كان أفصح المتكلمين فى المؤتمر بل لما توسموه فيه من الحكمة والكفاية والاستعداد للبذل والتضحية .

والجدير بالذكر انه لما قامت الحرب الفعلية بين انجلترا ومستعمراتها الأمريكية فى عام ١٧٧٥ أى بعد حادث بوسطن بعام ونصف لم يكن سكان المستعمرات يهدفون من حربهم الى الانفصال عن انجلترا ، بل ظلوا يخاطبون ملك بريطانيا بالملك الصالح ، ولم يكن هدفهم سوى الحصول على استقلال داخلى ضمن السيادة البريطانية ، وقد أكد ذلك جورج واشنجطن فى عام ١٧٧٤ بقوله « انه لا يوجد فى أمريكا الشمالية رجل عاقل واحد يرغب فى الاستقلال » .

وفيما يلى نعرض لشخصية واشنجطن التى ارتبط بها تاريخ استقلال الولايات المتحدة الأمريكية .

ولد جورج واشنجطن فى احدى قرى أمريكا الشمالية بولاية فرجينيا فى الثانى والعشرين من فبراير ١٧٣٢ من أسرة كان جل اهتمامها بالزراعة .

وقد شارك جورج والده فى الأعمال الزراعية ورعى البقر فى المرحلة الأولى من حياته ، وكان محبا لركوب الخيل ، كما تلقى تعليما متوسطا فى مسقط راسه ، فبرز نبوغه الطبيعى ، وتفوق على أقرانه ، وكان قد تعلم الانجليزية ثم عكف على دراسة الفرنسية ، ولكنه لم يوفق فى الالمام بها كما يجب .

وقد انتخب جورج واشنطن نائبا لولاية فرجينيا واستمر فى هذا المنصب خمس عشرة عاما ظهرت فيها صفاته وأخلاقه واضحة مما اكسبه محبة مواطنيه واحترامهم ، وكان كل يوم يزداد اعتبارا ووقارا فى قلوبهم خاصة وانه كان يكره التملق والرياء كما كان صريحا ينفر من الكذب وطرق المخاتلة والخداع ، وفوق ذلك كان متدينا يهوى القراءة فى الاناجيل .

وفى عام ١٧٥٠ عين واشنطن قائدا لاحدى المناطق العسكرية فى ولاية فرجينيا ثم تدرج فى المناصب العسكرية حتى وصل الى منصب نائد للفرق العسكرية الوطنية عام ١٧٥٥ ثم اعتزل الخدمة العسكرية عام ١٧٥٨ وانتخب عضوا فى ولايته .

وعندما حدثت المناوشات والاشتباكات بين الانجليز والأمريكيين بالقرب من بوسطن بسبب اغراق السفن الانجليزية المحملة بالشاى عقد مؤتمر فى فيلا دلفيا عام ١٧٧٦ لمناقشة هذا الموقف وانتخب فيه جورج واشنطن قائدا لقوات الحرس الوطنى ، وهو فى الثالثة والاربعين من عمره وكان ذلك بداية الصعود الى القمة وقد سار واشنطون بجنده الى نيويورك فكمبردج وغيرها وكان حيثما حل يجد الأمريكان قائمين على قدم وساق من أجل الاستقلال .

وقد نجح واشنطن فى اعداد جيش قوى متماسك وقادر على الصمود فى وجه القوات الغازية ومع أن الانجليز فرضوا حصارا بحريا على المستعمرات الأمريكية لتثبيط همم السكان واضعاف روحهم المعنوية فان ذلك لم يثن من عزيمة واشنطن بل زاد من مثابرته واستعداده ضد الانجليز .

وعندما بدأت الحرب بين الطرفين برزت خلالها مقدرة واشنطن القيادية وكفايته واقدامه الحذر وعدم اعترافه باليأس بل انه كان يتعلم من الهزيمة ويعيد ترتيباته وحساباته فعندما سارت الحملة الأولى لضرب بوسطن وكان الأمريكان فى قلة من المؤن والذخائر والرجال ولم يكن لديهم جيش كبير منظم ظهرت براعة واشنطن وحكمته ، فصبر صبر الرجال حتى لم شعث رجاله واستعد لملاقاة عدوه ، وفى مارس ١٧٧٦ هجم واشنطون على حصن بوستون وهدده باطلاق النار اذا لم يسلم ، كما أوعز بأنه يملك من القوات والعتاد ما لا طاقة لأعدائه به مما أدى الى تسليم الحصن وانسحاب الانجليز منه ، ودخول واشنطن مدينة بوسطن ظافرا مع ما كان فيه من صعوبة المركز ، وقلة الجند بالنسبة للانجليز .

وسار واشنطون بعد ذلك الى فيلا دلفيا واجتمع بمجلس الأمة ، وتفاوضوا فى طريقة يتوسلون بها الى اصلاح ذات البين بينهم وبين انجلترا رعاية لسلطانها ، وكان رأى واشنطن فى ذلك « اننا لا نستطيع القيام بمطالب انجلترا ، وليس لنا أمل يعقد الصلح معها فاما أن نجمع كلمتنا وندافع عن وطنا الى آخر نسمة من حياتنا واما أن نضع أعناقنا تحت أقدام الانجليز ، ونقول على الحرية وأهلها السلام » فوافقه المجلس على رأيه وأخذ العدة من أجل الدفاع .

ولما قدم الانجليز باسطولهم لضرب مدينة نيويورك تقدم واشنطن بما لديه من جنود لمواجهتهم ، وصمدت نيويورك أمام الانجليز ، وفى أثناء ذلك اجتمع مجلس الأمة الأمريكى ، وأعلن استقلال الولايا تالمتحدة فى ٤ يوليو ١٧٧٦ فاحتجت بريطانيا على ذلك واعتبرته عصيانا ، وأرسلت حملاتها التأديبية الى أمريكا ، فصمد ثوارها فى معظم الميادين حوالى ست

سنوات وساعدهم على ذلك اتحادهم وطبيعة بلادهم الواسعة وتكتيكهم العسكرى الفذ ، حيث قسموا قواتهم الى عدة جيوش للاحاطة بالانجليز من كل جانب فاذا انزل الانجليز هزيمة بأحد جيوشهم ظهر لهم جيش أمريكى آخر على بعد أميال قليلة ، يضاف الى ذلك ما قدمته فرنسا واسبانيا وهولنده من مساعدات للثوار وعطف الرأى العام الأوربى على مبادىء الثورة الأمريكية مما جعل الانجليز عاجزين عن اخضاع الثورة المتسعة الأرجاء خاصة وان نقل قواتهم عبر المحيط كان يكلفهم الكثير من النفقات .

ونتيجة لتوالى انتصارات الثوار ارتد القائد الانجليزى كورنواليس الى يوركتون Yorktwn وهناك هاجمه واشنطن بمساعدة بعض الفرنسيين حتى تمت هزيمته فى أكتوبر عام ١٧٨١ ، ولم يبق أمام الأمريكيين سوى تحرير نيويورك .

ونظرا لما لاقته بريطانيا من هزائم اضطرت الى توقيع الصلح فعقدت معاهدة فى عام ١٧٨٣ اعترفت بها بريطانيا باستقلال الولايات المتحدة على أساس اعتبار نهر المسيسبى هو حدها الغربى .

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت المستعمرات الأمريكية الثلاثة عشرة مستقلة واتخذت لنفسها اسم الولايات المتحدة وعين جورج واشنطن أول رئيس للولايات المتحدة ونهض ببلاده بطريقة اكسبته محبة الأمريكيين واحترامهم ، كما أنه كان أكثر ميولا الى المبادىء والتقاليد المحافظة .

وقد أعقب ذلك تحسن العلاقة بين أمريكا وبريطانيا وعلى الرغم من أن واشنطن قد اتخذ موقف الحياد فى علاقته مع كل من بريطانيا وفرنسا أثناء الحرب بينهما ، فان هذا الحياد كان مشوبا بالود نحو بريطانيا خصوصا وأن مصالح أمريكا التجارية حتمت الاتجاه أكثر نحو بريطانيا ، ونظرا

لاستيلاء فرنسا فى عهد بونابرت على مستعمرة لويزيانا التى كانت الولايات المتحدة تتطلع الى ضمها اليها ساءت العلاقات بين الدولتين حتى حصلت الولايات المتحدة عن طريق الشراء على هـذه المستعمرة فكسبت فرنسا علاقات طيبة مع الولايات المتحدة .

وفى حين كانت الولايـات المتحـدة تحقق لنفسها وحـدة أراضيها واستقلالها كانت أوربا خاصة انجلترا وفرنسا فى حروب ضارية لم تنتـه الا بسقوط نابليون وامبراطوريته .